من التفسير الديني إلى الدعم السياسي

جدلية العلاقة بين المسيحية الأصولية والصهيونية

إعداد

فهد محمد عطيه الحارثى

باحث دكتوراه ،كلية الآداب ،جامعة الملك عبدالعزيز ،جده ،المملكة العربية السعودية

المستخلص :

يتناول هذا البحث دور الفكر الأصولي النصراني في تشكيل الوعي الغربي تجاه القضية الفلسطينية، من خلال تحليله للتحولات اللاهوتية التي طرأت على تفسير النصوص المقدسة، خاصة العهد القديم. ويركّز على كيفية توظيف مفاهيم مثل "الشعب المختار" و"أرض الميعاد" في خدمة المشروع الصهيوني، مما أضفى عليه شرعية دينية في الوعي الغربي، واعتبر قيام "إسرائيل" خطوة في سياق الخلاص المسيحي وعودة المسيح. كما يُبرز البحث تأثير التفسير الحرفي للكتاب المقدس، وانتشار الأدبيات اليهودية كالتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، في تعميق هذا التحالف العقدي بين الصهيونية والأصولية النصرانية. ويسلط الضوء على أهمية اللغة العبرية كأداة فكرية لتعزيز المفاهيم التوراتية في العقل النصراني. وينقسم البحث إلى مبحثين رئيسيين: الأول يتناول العهد القديم والنبوءات، والثاني يناقش الفكر اليهودي الصهيوني وأدواته، ويخلص إلى ضرورة فهم البُعد الديني لهذا التحالف لفهم أعمق للصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

الكلمات المفتاحية: الأصولية النصرانية، المشروع الصهيوني، الشعب المختار، العهد القديم ،التحالف الديني السياسي.

From Religious Interpretation to Political Support

The Dialectic of the Relationship between Fundamentalist Christianity and Zionism

Research Summary:

This research deals with the role of Christian fundamentalist thought in shaping Western awareness towards the Palestinian cause, through its analysis of theological transformations that have occurred in the interpretation of sacred texts, especially the Old Testament. It focuses on how concepts such as "the chosen people" and "the Promised Land" were employed in the service of the Zionist project, which gave it religious legitimacy in the Western consciousness, and considered the establishment of "Israel" a step in the context of Christian salvation and the return of Christ. The research also highlights the influence of the literal interpretation of the Bible, and the spread of Jewish literature such as the Talmud and the Protocols of the Elders of Zion, in deepening this doctrinal alliance between Zionism and Christian fundamentalism. It highlights the importance of the Hebrew language as an intellectual tool to reinforce biblical concepts in the Christian mind. The research is divided into two main sections: the first deals with the Old Testament and prophecies, and the second discusses Jewish-Zionist thought and its tools, and concludes the need to understand the religious dimension of this alliance for a deeper understanding of the Palestinian-Israeli conflict.

Keywords: Christian fundamentalism, Zionist project, chosen people, Old Testament, religious-political alliance.

المقدمة:

يمثل الفكر الأصولي النصراني أحد المحاور المهمة في فهم التحولات الدينية والسياسية التي أسهمت في تشكيل الوعي الغربي تجاه القضية الفلسطينية، لا سيما في علاقته بالعقيدة اليهودية. فقد شهدت هذه الأصولية، عبر مسارها التاريخي، تحولات جذرية في مقاربتها للنصوص المقدسة، وخصوصاً العهد القديم، ما أدى إلى إعادة تأويل مفاهيم دينية رئيسية مثل "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، بما يخدم المشروع الصهيوني ويمنحه غطاءً لاهوتياً يدّعي الشرعية.

وتسعى هذه الدراسة إلى تفكيك الأسس اللاهوتية لهذا التحالف، وتتبع جذوره في البنية الفكرية النصرانية، من خلال استعراض التحوّلات التفسيرية للنصوص المقدسة، خاصة بعد ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الأوروبية، وانتشار التفسير الحرفي بين جمهور البروتستانت. فقد أدى هذا المسار إلى إدماج المعتقدات التوراتية في الوعي الديني والسياسي الغربي، مما هيّأ بيئة ثقافية تتقبل المشروع الصهيوني بوصفه جزءًا من المخطط الإلهي لخلاص البشرية وتهيئة الأرض لعودة المسيح.

كما تتوقف الدراسة عند تأثير الأدبيات الدينية اليهودية، لا سيما التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، في تعميق أسطورة "الشعب المختار"، وربط هذه الفكرة بحق امتلاك الأرض المقدسة. وتُبرز كيف تماهت الأصولية النصرانية مع هذه المفاهيم، ليس فقط على المستوى اللاهوتي، بل في الممارسة السياسية والدعوية، من خلال دعم الكيان الصهيوني إعلاميًا وثقافيًا ومؤسساتيًا. وقد تحوّل هذا التحالف من مجرد تعاطف ديني أو توافق سياسي، إلى تحالف عقدي راسخ، يجد في قيام "إسرائيل" ضرورة لاهوتية تمهد لعودة المسيح، وتجسّد "الإرادة الإلهية" كما وردت في العهد القديم.

كما تُبرز الدراسة أهمية العامل اللغوي في تعميق هذا الارتباط، إذ لم يكن الاهتمام باللغة العبرية مجرد جهد أكاديمي، بل جاء في إطار مشروع فكري ولاهوتي هدفه تعزيز حضور المفاهيم اليهودية في الوعي الديني النصراني، وتكريس صورة "الشعب المختار" باعتبارها حقيقة دينية مطلقة، ترتبط بمشروعية دينية، لا تقبل النقاش السياسي أو التاريخي.

في ضوء هذه المحاور، تحاول هذه الدراسة أن تُبيّن كيف أسهمت الأصولية النصرانية – عبر نصوصها وتفاسيرها ومواقفها – في إعادة إنتاج الخطاب الديني بما يخدم المشروع الصهيوني، ويُسهم في إعادة تشكيل الوعي الجمعي الغربي تجاه القضية الفلسطينية، من قضية استعمار وظلم، إلى "تحقيق لوعد مقدس"، ما يجعل من هذه الأصولية أداة مركزية في إضفاء الشرعية الدينية على الاحتلال، ويؤكد ضرورة إعادة النظر في البُعد الديني للتحالف الصهيوني النصراني كمدخل لفهم أعمق للصراع.

وقد افتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين:

المبحث الأول: العهد القديم والنبوءات

المبحث الثاني: الفكر اليهودي الصهيوني وأدواته المختلفة

ثم خاتمة رصدت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، وما اقترحته من توصيات، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول: العهد القديم والنبوءات

يعتبر العهد القديم أحد أهم مصادر الأصولية البروتستانتية إن لم يكن هو أهمها على الاطلاق، وتكمن أهميته في كونه يعتبر منطلقاً لكثير من سياسات الأمم والدول البروتستانتية التي تجعله مرجعية لها، وهو في الأصل يمثل الجزء الأكبر والأول في ترتيب الكتاب المقدس لدى النصارى عموماً باختلافٍ بين طوائفهم في عدد الأسفار التي يؤمنون بها ويعترفون بها كنصوص مقدسة، ويطلقون عليها العهد القديم أو الميثاق القديم للتفرقة بينها وبين بقية الأناجيل التي تمثل العهد الجديد والجزء الأخير والأقل حجماً في الكتاب المقدس.

وقد اختلفت الآراء حول سبب تسميته بالقديم، فقيل إشارة إلى ما ورد في بعض أسفاره حديثاً عن موسى عليه السلام، إذ يقول النص: "وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ، وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ"[1]، وقيل هي مأخوذة من النص الذي ورد في موضع آخر منه، وهو النص القائل: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا، لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لِأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، بَلْ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ"[2].

وتنقسم أسفار العهد القديم التي يعترف بها البروتستانت، وهي 39سفراً إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كتب موسى، أو الأسفار أو (البانتاتيك) ، وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر التثنية وسفر اللاويين وسفر العدد، وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة في نظر اليهود.

القسم الثاني: أسفار الأنبياء وهي نوعان:

1- أسفار الأنبياء المتقدمين، وتشمل الأسفار الآتية: يشوع، قضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني.
2- أسفار الأنبياء المتأخرين، وتشمل الأسفار الآتية: إشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان (يونس)، ميخا، ناحوم، حبقّوق، صفْنيا، حَجَّى، زكريا، ملاخي.

القسم الثالث: الكتابات، وهذا القسم يتشعب إلى أنواع ثلاثة:

1- الكتب العظيمة وتشمل الأسفار الآتية: المزامير (الزبور)، الأمثال (أمثال سليمان)، أيوب.
2- المجلات الخمس وتشمل الأسفار الآتية: نشيد الأناشيد، راعوث، المراثي، الجامعة، استير.
3- الكتب وتشمل الأسفار الآتية: دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني[3].

لم يكن لنصوص العهد القديم عند النصارى قبل ظهور الأصولية تأثير على ردم الهوة بين الديانتين وتخفيف جذوة العداوة، أو على التقريب بين رجال الدين فيهما وخصوصاً لدى النصارى الذين كانوا ينظرون إلى اليهود على أنهم مارقون كفار يجب اضطهادهم، وأنهم قتلة المسيح وأعداء دينه.

([1]) الخروج (24/ 7-8).
([2]) ارميا (31/ 31-33).
([3]) انظر: اليهودية، أحمد شلبي (238-239).

وإمعاناً في عداوة الكنائس النصرانية -بشقيها الشرقية والغربية- لليهود قبل ظهور الأصولية، حاولت وعلى أيدي رجالها إسقاط الوعود والرؤى التي حفلت بها نصوص العهد القديم عن مستقبل بني إسرائيل وأرض الميعاد والألفية السعيدة وغيرها على مسميات وأحداث سابقة في التاريخ، "وكان القساوسة يرفضون التفسير الحرفي للتوراة، ويفضّلون تفسيرات لاهوتية أخرى وبخاصة المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسير التوراتي"[1].

كما أن الإبقاء على نصوص الكتاب المقدس باللغة اليونانية حدّ وبشكل كبير من اقبال العامة عليه من غير الناطقين بها، وحصر تفسيره وتأويل رؤاه ونبوءاته في أيدي قلة قليلة من رجال الدين المبرزين، الذين يتخذون موقفاً معادياً لليهود ومنطلِقاً من نصوص العهد الجديد الذي يقدسونه ويقدمونه.

فالقديس النصراني ذائع الصيت أوغسطين والذي كانت تُعتبر أراؤه وتقريراته مرجعاً معتمداً عند الكاثوليك كان يقرر في كتاباته بأن ما يسمى بالأمة اليهودية قد انتهى، وأن الله قد طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على صلب المسيح، كما كانت الكنيسة تعتقد أن النبوءات الدينية التي تتحدث عن العودة إنما تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الإمبراطور الفارسي قورش[2].

وكانت عقيدة النصارى التي ظلوا عليها قبل ظهور الأصولية واعتبار العهد القديم بمضامينه الظاهرة مرجعاً مقدساً، تحكم بأن ورثة أرض الميعاد ليسوا بني إسرائيل، وإنما هم جميع المؤمنين بالمسيح لأنهم نسل إبراهيم الحقيقيون، يقول بولس: "فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ"[3].

كما قرر العهد الجديد أن شعب الله المختار أو أبناؤه ليسوا جنساً بعينه مخصوصاً بهذا التشريف كما يكرسه العهد القديم في نصوصه ويعني به جنس بني إسرائيل، وإنما هو شعب عالمي من مختلف الأجناس التي يجمعها الإيمان بالمسيح، ولهذا جاء في إنجيل يوحنا ما نصه: "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللهِ"[4].

ومع ظهور الأصولية النصرانية أو ما يسمى بالإصلاح الديني في القرن السادس عشر وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات المحلية المعاصرة لكل قومية، والدعوة إلى فتح الباب لكل أحد أن يقرأه ويفسره تفسيراً حرفياً تبدل الحال تماماً في التعامل مع العهد القديم، حيث "لم يعد العهد القديم أكثر الآثار الأدبية شيوعاً بين عامة البروتستانت فحسب، بل إنه أصبح مصدر المعلومات التاريخية العامة"[5].

وعلى إثر ذلك نشأ المسيحي البروتستانتي وفي نفسه اعتقاد قوي جازم أن العهد القديم كتاب مقدس، وأن المسيح يهودي جاء مكملاً لما بدأه أنبياء التوراة، وأن المسيحية شديدة الارتباط باليهودية،

---

(1) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي، أحمد محمد زايد (166).
(2) انظر: الأصولية الإنجيلية، محمد السماك (37).
(3) رسالة بولس إلى أهل غلاطيّة (3: 29).
(4) يوحنا (1: 12).
(5) الصهيونية غير اليهودية، د.ريجينا الشريف (27).

بل هي استمرار لها، وأن اليهود هم شعب الله المختار، وأن عودتهم إلى أرض الميعاد ضرورية لتحقيق إرادة الله[1].

وهذا الارتباط باليهودية أورث الأصولية النصرانية اعتقاداً "أن الإنجيل ناقص، وأن التوراة هي التي تعطيه أسسه وأبعاده، وأن الإنجيل تتمة للتوراة، لا يمكن أن يُقرأ بدونه، ولا يُفهم أو يُفسر إلا على ضوئه باعتباره هو الأصل والإنجيل فرع عنه، كما تعتقد أن الإيمان بالتوراة جزء من عقيدة المسيحي، حيث يجب عليه أن يؤمن به، وبكل ما فيه من أساطير، وبخاصة أساطير الأرض الموعودة، والشعب المختار، والحق اليهودي في فلسطين"[2].

لقد أحدثت الأصولية النصرانية تحولاً كبيراً في موقف النصارى من العهد القديم، فبعد أن كانت نصوصه تُحمل على المجاز في العقيدة الكاثوليكية أو يُحمل ما ورد فيها من وعود على أنه قد حدث بالفعل في أزمنة سابقة، فألغت بذلك دورها في تحريك مشاعر الأتباع الإيجابية نحو اليهود، "تقبل المسيحيون البروتستانت الكتاب المقدس على أساس أنه يشكل السلطة العليا للاعتقاد والسلوك"[3].

"وعموماً فإن العهد القديم هو تاريخ اليهود، ولم يكتسب شكله النهائي إلا في القرن الأول بعد الميلاد، وقد اعتمدت المسيحية التوراة العبرية لكنها أدخلت عليها بعض الإضافات والحذف، وحينما أمر الملك هنري الثامن ملك إنكلترا عام 1538م بترجمة التوراة للغة الإنجليزية ونشرها وإتاحتها للقراءة من قبل العامة، كان بذلك يضع اليهودية -تاريخاً وعاداتٍ وقوانين- لتكون جزءاً من الثقافة الإنجليزية، ولتصبح ذات تأثير هائل في هذه الثقافة"[4].

جاءت البروتستانتية لتسمح لأتباعها بحقهم في فهم الكتب المقدسة، وعارضت بهذا الأمر العقيدة التي رسختها الكنيسة من كون هذا الحق حكراً على رجال الدين، ولم تقتصر تلك القراءة على مجرد تقديم تفسيرات معينة لمفاهيم دينية محددة، ولكنها حاولت أن تصنع مستقبلاً مؤطراً بما حوته تلك النصوص من رؤى ونبوءات، وتبني عليها سياسات واستراتيجيات مستقبلية.

وكردة فعل على التأويلات التي تعامل بها رجال الدين مع النصوص في الكتاب المقدس قبل ظهور الأصولية، وأن تلك التأويلات إنما كانت قراءات بشرية تسعى إلى تحقيق مكاسبها انطلاقاً من النص المقدس، ظهرت في الأصولية الدعوة إلى القراءة الحرفية، واقتضى هذا أن تكون جميع النصوص المقدسة في العهد القديم وما تتضمنه من الرؤى والنبوءات متجهةً في معناها إلى مستقبل اليهود ، والدور الذي ينبغي أن يلعبه المسيحيون في هذا المستقبل الذي يمثّل إرادة الرب، وخطته في تدبير الكون.

وإضفاءً لمزيد من الأهمية لنصوص الكتاب المقدس في المنظومة العقدية الأصولية في الدول الأوروبية "اعتُبرت اللغة العبرية -باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله، واللسان المقدس الذي خاطب به

---

(1) انظر: وثيقة الصهيونية في العهد القديم، د. جورجي كنعان (12).
(2) الصهيونية النصرانية، أ.د محمد بن عبدالعزيز العلي (136).
(3) النبوءة والسياسة، جريس هالسل (103).
(4) البعد الديني في السياسية الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني د يوسف الحسن (21).

شعبه المختار- هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية"[1]، "وأخذت تحتل مكانها بجانب اللغات الإنجليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية وصارت المعرفة بها جزءاً معترفاً به في الثقافة الأوروبية"[2].

لقد "كان تمسك حركة الإصلاح الديني بحرفية الكتاب المقدس هو الذي أثار اهتمامها باللغة العبرية، فلكي تفهم كلمة الله بشكل صحيح كما أوحى بها في النصوص المقدسة كانت معرفة اللغة الأصلية أمراً لا مندوحة عنه، وأصبح العلماء والمصلحون مضطرين لمعرفة العهد القديم بلغته الأصلية"[3]

وعلى كل حال فقد كان للموقف الجديد من العهد القديم تأثيراته الكبرى على نظرة المسيحيين لليهود، ورأى فيه اليهود فرصة كبيرة لتهويد المسيحية، وربط معتقداتها ومصيرها بنصوصه التي تضمنت تبجيلاً لجنس اليهود، وعلاقة هذا الجنس بالأرض المقدسة في فلسطين، وأهمية جمعهم فيها، فاليهود بحسب تلك النصوص هم شعب الله المختار، وهم الأمة المفضلة على كل الأمم، ولديهم ميثاق ووعد إلهي بإعادتهم إلى الأرض المقدسة، كما أن عودة المسيح التي يؤمن بها عموم النصارى مرتبطة بتجميع اليهود مرة أخرى في فلسطين وإعادة بناء الهيكل[4].

هذه المرجعية المقدسة للعهد القديم جعلت الأصولية المسيحية ترتبط أيديولوجياً بالأصول اليهودية، وتَعتبر أن الشعب اليهودي بالفعل هو شعب الله المختار الذي جاء ذكره في النصوص، وهو الشعب الذي أُعطيت له الأرض المقدسة بحسب التوراة المقدسة، وأن العمل المشترك لكلا المجموعتين سيؤدي إلى تعجيل مجيء المسيح ونهاية الكون[5].

لقد أسهمت دعوة الأصولية للاهتمام الكبير بالكتاب المقدس وتفسيره حرفياً كما أقرته اليهود إلى تهويد المسيحية وإلى إعطاء قيمة كبيرة للإرث اليهودي في قلوب المسيحيين وعقولهم، وظهرت تجليات ذلك الأمر بصورة واضحة منذ هجرة البروتستانت وهروبهم من إنجلترا التي حاربتهم وضيقت عليهم الخناق إلى أمريكا.

فلقد جاء المستعمرون البروتستانت، تحركهم تصورات الإسرائيليين القدامى إلى أمريكا التي أطلقوا عليها اسم: أرض الميعاد وصهيون وإسرائيل الجديدة وأرض كنعان، وغير ذلك من التسميات التي أُطلقت على فلسطين في أسفار العهد القديم، وشبّهوا أنفسهم في هذه الهجرة بالعبرانيين القدماء حين فرّوا من ظلم فرعون وهربوا من أرض مصر إلى أرض الميعاد الجديدة، كما أنهم شبهوا مطاردتهم للهنود الحمر في الأرض الجديدة، بمطاردة العبرانيين للكنعانيين في فلسطين[6].

([1])الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي محمد السماك (38).
([2]) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن (23).
([3]) الصهيونية غير اليهودية، د. ريجينا الشريف (28).
([4]) الأصولية الدينية حول العالم، شريف طلعت السعيد (74).
([5]) انظر: الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية، يوسف الطويل (47).
([6]) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم، رضا هلال (45).

وقد كان لهذه العقيدة التي ورثها المستعمرون الجدد ممن يحملون لواء البيوريتانية[1] من العهد القديم أثرها على أرض الواقع، "تمثلت في الكيفية التي تعايشوا بها مع المكان، من حيث إطلاق أسماء عبرانية على الأماكن التي يغدون إليها، وإطلاق أسماء عبرانية على المواليد الجدد، بالإضافة إلى فرض تعلم اللغة العبرية في المدارس والجامعات"[2].

لقد أصبح العهد القديم بالإضافة إلى القداسة والهالة التي أحاطت به زاداً يومياً لدى أصحاب النزعة الأصولية، حتى باتوا -من تكرار قراءتهم له- يحفظونه عن ظهر قلب، ووجدوا فيه المثال السماوي للحكومة الوطنية، والدلالة الواضحة على القوانين التي يجب على البشر اتباعها، وإذا عصوها فالعقوبة ماثلة للعيان وآنية، بل وصل الأمر أن خرج منهم من طالبوا الحكومات بأن تعلن التوراة دستورا للبلاد كما حصل لاحقا في إنجلترا، وبهذا أصبح حماسهم للعهد القديم أشد من اليهود أنفسهم [3].

كما أنه دفع البروتستانت إلى الاهتمام بالرؤى والنبوءات التي تشغل حيزاً لا يستهان به في الكتاب المقدس، وباتت القراءة الحرفية لها تستدعي إيماناً جازماً بوقوعها، بل سعياً إلى الاسهام في تحقيق مراد الرب الذي تضمنته تلك النصوص.

ولهذا طالب بعض النصارى الصهاينة قادتهم وزعماءهم بأن يضعوا نبوءات كتبهم المقدسة نصب أعينهم عند رسم الخطط والسياسات الاستراتيجية، وأن يكون لهم دور في صنع الأحداث القادمة، وألا يتركوا الأحداث للأقدار، بل يجب أن يعجّلوا بها حتى يُسرع المسيح في العودة لإنقاذ شعب الله المختار، ويقيم المملكة الإلهية على الأرض[4].

وقد كان للأحداث التي وقعت من إنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين وتغلبهم على العرب في عدد من الحروب التي قامت بينهم دور كبير في تعزيز إيمان الأصولية بنبوءات العهد القديم، إذ "يعتبرونها إشارة على صحة هذه النبوءات، وصارت مسألة دعم وتقوية إسرائيل بهدف تعجيل يوم الخلاص بالعودة الثانية للمسيح قضيةً رئيسة لدى الحركة المسيحية الأصولية"[5].

لقد أفضى تغلغل عقائد العهد القديم ونبوءاته والنبوءات التي ألحقت بالإنجيل في الكتاب المقدس في الثقافة الغربية إلى تبنَي الأصولية النصرانية كليّات كبرى تتقاطع فيها مع المصالح الصهيونية اليهودية، وكانت تلك الكليات تتمحور حول ثلاثة أساطير:

الأول: اليهود ليسوا أتباع ديانة كغيرهم من أتباع الديانات، بل هم شعب الله المختار، المفضّل على الأمم جميعاً والمتفوق عليهم.

الثاني: وجود عهد أبدي أعطاه الله لبني إسرائيل بتمكينهم من أرض فلسطين.

---

(1) البيوريتانية: حركة دينية داخل البروتستانتية ترسخت في إنجلترا في القرن السادس عشر واستمرت حتى القرن الثامن عشر، ونشأت مع العمل اللاهوتي لجون كالفن. يتطلب فهم تعريف البيوريتانيين المتماسك أولاً فهمًا أساسيًا للبروتستانتية وتاريخ الأنجليكانية داخل المسيحية.

(2) رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، سمير مرقص (6).

(3) المسيح اليهودي و نهاية العالم رضا هلال (32-33)

(4) دور الأصولية الإنجيلية في نشأة الصهيونية، أحلام الصياد (705).

(5) البعد الديني في السياسة الأمريكية، مصدر سابق (188).

الثالث: عودة المسيح المخلص لن تتم إلا بعد أن يتمكن اليهود من إقامة دولة خاصة بهم فوق أرض فلسطين[1]، وأن هذا يمثل "ميثاقاً سرمدياً أبدياً بين الله والشعب اليهودي"[2].

وإننا نجد منطلقات تلك الأساطير في نصوصٍ تدرجها البروتستانتية في خانة (العصمة)، وتعني بذلك أنها نبوءات لأحداث يستحيل ألا تتحقق وتقع، وبالتالي كان من الواجب الأخذ بحرفيتها كما وردت في الكتاب المقدس، وتفسيرها تفسيراً حرفياً بكل حذافيرها[3]، وبلا تأويلات تُخرجها عن مقاصدها الواضحة الصريحة.

وبالنظر إلى أهمية الكتاب المقدس في الفكر الأصولي فقد باتت عقائده ونبوءاته تشكّل أفكارا وتصورات يشبُّ عليها الصغير ويهرم عليها الكبير، ويترنم بها البروتستانتي في صلواته، ثم ينطلق بها إلى ميدانه ليحاول الاسهام ولو بالقليل منها، ولهذا فإنه يمكن القول: إن العهد القديم قد تحول منذ وقت مبكر في المنظومة الأصولية من كتاب دين إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة العهد الإلهي بالأرض المقدسة للشعب المختار، وأصبح العهد القديم بموجب تلك التحولات هو المصدر الوحيد للاجتهاد، وبات بما تضمنه من معتقدات ونبوءات يمثل جوهر العقائد البروتستانتية، ومن خلاله تحولت تلك العقائد إلى قواعد عامة في التربية الدينية، وخرّجت أتباعاً لها ومؤمنين بها من رجال السياسة والأدب والفكر[4].

إن الناظر لواقع الأصولية النصرانية لا يخطئ بصره ذلكم الأثر الرهيب الذي خلّفه التحول الكبير في موقفها من العهد القديم ونبوءاته على عقائدها وتوجهاتها الفكرية والتربوية والسياسية، وتظهر للناظر بوضوح تجليات ما يسمى بعبرْنة المسيحية من خلال تبنيّها لأهم الأساطير التي أعيدت قراءتها في نصوص التوراة، وروجت لها الصهيونية اليهودية بصفتها تمثل إرادة الرب التي ينبغي العمل على تنفيذها، وأنها إنما يكون تنفيذها عن طريق إعادة اليهود إلى أرض الميعاد.

ولهذا نجد أن اندفاع عدد من القادة الدينيين أو السياسيين الإنجيليين لصناعة تطلعات صهاينة اليهود لا يشترط أن يكون وراءه حبّاً لليهود أو طمعاً في إرضائهم، بل لأنهم -كما تقول الكاتبة الإنجيلية جريس هاسل-[5] : "يرون فيهم الممثلين الذين لابد منهم على مسرح النظام الديني، الذي يقوم على أساس تحقيق المسيحية الكاملة"[6]، ويرون أنهم من تنطبق عليهم نصوص العهد القديم لتحقيق رؤاه ونبوءاته.

لقد عملت الصهيونية اليهودية وعلى امتداد عقود من الزمن على غرس قداسة التوراة في وجدان الأجيال المسيحية، فالوعود التي وردت فيها لمستقبل بني إسرائيل وعودٌ ربانية، وكل من يساعد في

---

(1) الصهاينة الجدد، مهمة لم تنته، ناصر الزامل (118).
(2) الدين في القرار الأمريكي، محمد السماك (28).
(3) انظر: المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة، راجح السباتين (91).
(4) الأصولية الإنجيلية والموقف الأمريكي، مصدر سابق (42-43).
(5) جريس هالسل: صحفية وكاتبة أمريكية. (1923 - 2000) وهي ابنة الكاتب هاري إتش هالسيل، وتزوجت لفترة وجيزة من آندي فورنييه، رئيس المباحث في إدارة شرطة فورت وورث.
(6) النبوءة والسياسة :غريس هالسل (26).

تحقيقها إنما هو معين على تنفيذ إرادة الرب التي بينها في كتابه المقدس، وهذا اصطفاء من الله له للقيام بهذه المهمة العظيمة[1].

فمبدأ امتياز الجنس اليهودي عن غيره من البشر، وفكرة اجتماعهم في الأرض المقدسة، ثم استهلال الألفية السعيدة، كل تلك المبادئ والأفكار تظافرت بها الأدلة في العهد القديم، وبذلك أخذت قداسة لا تتيح لأحد حق الاعتراض عليها فضلاً عن مقاومتها أو السعي إلى تعطيلها، إذ هي تمثل عطاء إلهيا ليس لأحد أن يتعامل معه إلا بالرضا والتسليم.

فمما يدعمون به فكرة الجنس الإنساني الراقي أو أبناء الله الذين اصطفاهم من دون البشر كما يحبون أن يُطلق عليهم، يقول النص في العهد القديم: "أَنْتُمْ أَوْلَادٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ، لَا تَخْمِشُوا أَجْسَامَكُمْ، وَلَا تَجْعَلُوا قَرْعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لِأَجْلِ مَيْتٍ، لِأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ"[2].

وفي عقيدة الوعد والعهد بالعودة إلى الأرض المقدسة والتأكيد على تمليك الله لهم إياها يقول النص: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ"[3]، وفي موضع آخر من هذا السفر نجد أيضا نصاً آخر يوجه الله كلامه لنبيه إبراهيم عليه السلام -بحسب زعم النص التوراتي- فيقول: "وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا، وَأَكُونُ إِلَهَهُمْ"[4].

كما نجد تلك المرتكزات الأصولية ماثلة في عدد من أسفار العهد القديم الأخرى، فنجد في سفر المزامير نصاً يقول: "وَمَفْدِيُّو الرَّبِّ يَرْجِعُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى صِهْيَوْنَ بِتَرَنُّمٍ، وَفَرَحٌ أَبَدِيٌّ عَلَى رُؤُوسِهِمِ، ابْتِهَاجٌ وَفَرَحٌ يُدْرِكَانِهِمْ، وَيَهْرُبُ الْحُزْنُ وَالتَّنَهُّدُ"[5]، وفي سفر دانيال يقول النص: " فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعًا، يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الْأَزْمِنَةِ"[6].

وقد وجدت الصهيونية اليهودية في هذه النصوص في العهد القديم سنداً قوياً لزيادة الاقتناع بصحة ما تدعو إليه، واعتبرت نفسها تحقيقاً لمعجزته التي بدأت تتحقق على يديها[7]، وبهذا كان العهد القديم وما تضمنه من رؤى ونبوءات من أهم الجذور العقدية التي تتكئ عليها الأصولية لبناء عقيدتها، وقد كان هذا "الاتكاء على العهد القديم من الكتاب المقدس من قبل أتباع وأصحاب هذه الأيديولوجية قد سوّغ الكثير من القتل والدم والتشريد بحجة عودة شعب الله إلى بلده لتحقيق النبوءات وعودة المسيح ونهاية العالم"[8].

---

(1) انظر: وثيقة الصهيونية في العهد القديم، جورجي كنعان (12).
(2) التثنية (14: 1-2).
(3) التكوين (15: 18)
(4) التكوين (17: 7).
(5) إشعيا (35: 10)
(6) دانيال (9: 26-27).
(7) انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل الكيلاني (44).
(8) الأصولية الدينية حول العالم، شريف طلعت السعيد (50).

المبحث الثاني: الفكر اليهودي الصهيوني وأدواته المختلفة

يعتبر العهد القديم مرجعاً مشتركاً بين اليهود والنصارى على اختلاف طوائفهم مع اختلافٍ في عدد الأسفار التي يعتبرونها نصاً مقدساً بين طائفة وأخرى داخل الديانة الواحدة، فالكتاب المقدس عند النصارى يجمع بين بين دفتيه العهد القديم والجديد بما تضمنه الأخير من رسائل ونبوءات.

ومن المهم في مقدمة الحديث عن الفكر اليهودي باعتباره مكوناً مهماً في العقيدة الأصولية النصرانية أن نبين أن الصهيونية اليهودية وإن كانت تتمسح بالعقائد اليهودية وتتخذها ذريعة لتحقيق أهدافها فإنها تزيد عليها بالاتكاء أحياناً على نبوءات ليست في مصادر اليهودية المقدسة، وإنما هي نصوص في نبوءات العهد الجديد الذي يؤمن به النصارى دون اليهود، رأت فيها الصهيونية مرجعاً من خارج تراثها يخدم أهدافها ويحقق طموحاتها فسعت إلى إبرازه واستغلاله.

فالأصولية البروتستانتية كانت ومنذ نشأة ما يسمى بالإصلاح الديني في القرن السادس عشر رائدةَ العمل على تهويد المسيحية، والسير بها نحو الانفكاك عن عددٍ من العقائد المسيحية المتوارثة على امتداد تاريخها، والاستعاضة عنها بأفكارٍ وتصورات ذات صبغة يهودية أو أفكار تنتسب إليها.

ولعل من أبرز من كشف مقدار سطوة الفكر اليهودي على الأصولية النصرانية وانفكاكها التدريجي عن المسيحية السائدة في العصور الوسطى هي الكاتبة الدكتورة ريجينا الشريف، تقول: "كانت المبادئ التي وضعتها حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر مغايرة تماماً للمبادئ الكاثوليكية السابقة، وتوصف هذه الحركة بأنها بعث عبري أو يهودي تولدت عنه وجهة نظر جديدة عن الماضي والحاضر اليهودي، وعن مستقبله بشكل خاص، كان اهتمام حركة الإصلاح البروتستانتي منصبّاً على العالم القادم، وكان يُنظر إلى الحياة بمنظار الأبدية، كما ساد الاعتقاد بالمجيئ الثاني للمسيح، والعهد الألفي السعيد اللذين هما من مقومات اليهودية"[1].

وعن تأثير التصاق البروتستانتية عقدياً باليهودية وتسرب الفكر الصهيوني إليها وارتباط مصير النبوءات المستقبلية بها ببعض الأحداث التي تجري على أيدي اليهود دون غيرهم تقول الكاتبة: ومع أن المسيحية كانت نتاجاً لليهودية إلى حد بعيد، وكانت تشتمل على بعض العناصر اليهودية القوية، فإن التغييرات اللاهوتية التي جاءت بها حركة الإصلاح هي التي روجت لفكرة أن اليهود شعب مختار، وأكدت على عودتهم إلى فلسطين، وكان من قبل ذلك فصل واضح بين شعب العهد القديم العبري الذي كان يُعتبر مثالياً واليهود المعاصرين الذين يُنظر إليهم بازدراء، ولكن العبرانيين التوراتيين أصبحوا يُقرنون بأبناء دينهم، وساد الاعتقاد بين البروتستانت أن اليهود المشتتين حالياً سيُجمعون من جديد في فلسطين للإعداد لعودة المسيح.

"وبالفعل فقد أدى ذلك الغزو الفكري التوراتي الجارف للبروتستانتية إلى قيام فكر صهيوني يعد امتداداً لفكر مارتن لوثر الذي فسّر نبوءة عودة اليهود إلى فسطين بأنها عودة حقيقة مادية، وليست عودة مجازية معنوية كما كان يردد الكاثوليك"[2].

([1]) الصهيونية غير اليهودية، مصدر سابق (25)

([2]) الصهاينة الجدد مهمة لم تنته، مرجع سابق (125).

"لقد تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الطائفة البروتستانتية الإصلاحية حتى إن المفكر اليهودي الهولندي هوجر ويتوس نشر كتاباً بعنوان: حقيقة الدين المسيحي، أظهر فيه العقائد والأفكار المشتركة والمتوافقة بين اليهودية والنصرانية الجديدة (البروتستانتية)، ورفض فيه تحقير بعض النصارى لليهودية، وأبرز الجوامع المشتركة بين اليهودية والمسيحية الجديدة (البروتستانتية"[1].

يستلهم الفكر اليهودي تصوراته من تفسيرات حاخاماتهم ورجال الدين عندهم منطلقاً من عدد من مراجعهم التي يؤمنون بنصوصها كالتلمود والشريعة الشفوية والرؤى والنبوءات الواردة في العهد القديم وغيره بشيء من التأويل والتوظيف الظاهر، فعقيدة يوم الرب -على سبيل المثال- لم ترد بنصها في التوراة وإنما وردت في سفر عاموس[2] لأول مرة في القرن الثامن الميلادي، ثم هي لم تكن من اختراع عاموس نفسه، "بل وجدها عقيدة شائعة بين قومه وفي عصره، ولم يزد على أن نقلها منسوبة إلى أصحابها"[3].

كما أن فكرة المسيح المخلص تأتي في الفكر اليهودي مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب، وملخصها أنه عندما تجدد الأمة المفضلة عهدها مع الله تصبح جديرة بالله، وعندئذ تصير أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن، يقيم فيها الرب على جبل صهيون، ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل، وتزول فيها الأحقاد؛ بل يموت منها الموت نفسه في وسط هذه الآمال المركزة على إسرائيل، ومثل هذه الأفكار يكاد المعلقون يتفقون على أن مبعثها إنما هو التعصب والقومية ضيقة الأفق، وهي تنم عن حقد شديد على غيرها من الأمم، وتعطشاً للمغانم المادية الضخمة ولو على حساب الآخرين[4].

لقد اعتقدت طوائف من الأصوليين بعصمة النبوءات التوراتية حول طبيعة الجنس اليهودي وما ورد في سفري دانيال وحزقيال عن أحداث آخر الزمان ومستقبل اليهود في الأرض الموعودة ونهاية العالم، ومن المثير للغرابة ما ورد في سفر يوحنا الذي يختتم العهد الجديد أسفاره به من الحديث عن بعث اليهود والمجيئ الثاني للمسيح والألفية السعيدة، وكأن من ألّف هذا السفر كان يستمد أفكاره وتصوراته لنهاية الزمان ومستقبل اليهود من النبوءات والرؤى في التراث اليهودي من الأسفار سالفة الذكر، وكان هذا -بطبيعة الحال- جزءاً من الجهد المبذول في تهويد الكنيسة النصرانية.

كما أن من المثير للدهشة لدى الباحث ومن يتتبع ارتباط إنجيل الرؤى في العهد الجديد بأسفار دانيال وحزقيال في القديم "أن أوصاف يوحنا للمسيح هي أوصاف المسيح اليهودي لدى دانيال وحزقيال، والحيوانات الأربعة المملوءة عيوناً في الإصحاح الرابع من رؤيا يوحنا انتقلت مع بعض التعديلات من سفر حزقيال، وجوج وماجوج وهرمجدون ورد ذكرها عند حزقيال"[5].

([1]) الصهيونية المسيحية، محمد السماك (35-36).
([2]) عاموس: أحد الأنبياء الاثني عشر الصغار وقد عاصر هذا النبي هوشع وإشعياء، وتواجد في حوالي سنة 750 ق م في فترة حُكم يربعام الثاني على مملكة إسرائيل (الشمالية)، وهو من مملكة يهوذا مملكة الجنوب، وقد اتجه نحو الشمال لكي يتنبأ بسقوط إسرائيل بسبب عصيانها لله، وقد كتب سفر عاموس.
([3]) الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا (96).
([4]) انظر: الفكر الديني اليهودي، مصدر سابق (98).
([5]) المسيح اليهودي، مصدر سابق (57)

احتلّت الأدبيات الدينية اليهودية موقعاً مميزاً في معركة الإصلاح التي دارت رحاها في مطلع القرن السادس عشر، وكانت تلك الأدبيات تدور حول ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يشكلون الأمة المفضلة على كل الأمم.

الأمر الثاني: أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاقٌ سرمدي حتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيها.

هذه الأمور الثلاثة تُعد قاعدة الصهيونية المسيحية التي تربط الدين بالقومية، والتي استطاعت أن تسخر الاعتقاد الديني وما ورثته من تراث الفكر اليهودي لتحقيق مكاسب يهودية على أصعدة مختلفة[1].

لقد كانت الديانة اليهودية بمراجعها المختلفة وبالأخص منها ما يحمل الطابع الانتقامي والعلو على سائر الأمم واحتقارها والاندفاع نحو إلحاق الأذى بكل من ليس يهودياً كالتلمود[2] وبروتوكولات حكماء صهيون[3]، من أهم مرتكزات النظرية السياسية الصهيونية، وكانت نصوصها تمثل سنداً للمطالبة بتحقيق الوعد الإلهي، وصكّاً لملكية أرض فلسطين وحق العودة إليها لبناء الدولة الحديثة والمعبد الثالث في أورشليم[4].

ومن المفارقات التي تضمنتها نصوص العهد القديم واجتهد الفكر اليهودي الصهيوني في احتوائها وإخراجها عن مسارها الظاهر تفادياً لوقوفها عقبة أمام تمرير آماله في إخضاع المسيحية المتصهينة ذات الأيديولوجية التوراتية الحرفية فكرة المسيح المنتظر، ففكرة المسيح المنتظر الذي سيكون خلاص اليهود على يديه، تؤكد على معارضتها للتدخل البشري أو الدنيوي لتحقيق الأطماع السياسية بالعودة إلى أرض الميعاد، وتتوقع بدلاً من ذلك أن تتحقق عن طريق التدخل السماوي[5]، كما أنها تطالب بعدم العدوان على أحد، وبعدم التوسع في الحرب لأنها ضد مشيئة الإله.

وبذلك اعتبَرَت جماعات يهودية كالأرثوذكسية أن الأفكار التي تتعارض مع نصوص العهد القديم في هذه المسألة تشكل تدخلاً بمشيئة الله في بقاء اليهود في المنفى حتى مجيئ المسيح، ورفضوا تماماً

---

(1) انظر: الصهيونية المسيحية، محمد السماك (34).

(2) التلمود: هو النص المركزي لليهودية الحاخامية والمصدر الأوّل للشريعة الدينية اليهودية (الهالاخاه) واللاهوت اليهودي. قبل مجيء الحداثة، كان التلمود هو الكتاب المحوري للحياة الثقافية في كل المجتمعات اليهودية، وكان مؤسّسًا «لكل الفكر والأمل اليهودي»، و«هاديًا في الحياة اليومية» لليهود.

(3) بروتوكولات حكماء صهيون: هي وثيقة مُسربة أُختلف في صحتها ما بين من قال أنها وثيقة صحيحة وبين من قال أنها وثيقة مزيفة، تتحدث عن خطة لغزو العالم أُنشِئت من قِبَل اليهود وهي تتضمن 24 بروتوكولاً. قيل أنه في عام 1901 كتَبَها ماثيو جولوفينسكى وهو ومُخبر من الشرطة السياسية القيصرية وكانت مُستوحاة من كتاب حوار في الجحيم بين مونتسكيو وميكافيلي للمؤلف موريس چولى الذي يُشير في كتابه إلى وجود خطة ومُسبقة لغزو العالم من قِبَل نابليون الثالث وقد تم تطويرها من مجلس حكماء اليهود بهدف تدمير المسيحية والهيمنة على العالم.

(4) انظر: الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية، يوسف العاصي (50)

(5) انظر: الصهيونية غير اليهودية، مصدر سابق (37).

أي استعجال في العودة إلى فلسطين قبل أن تظهر العلامات الإلهية لظهور المسيح، ويرون أنه يتعين على اليهود أن ينتظروا كلمة الله حول هذا الأمر[1].

لكن الصهيونية اليهودية والتي تستقي فكرها من التلمود ومن البروتوكولات ومن تفسير الحاخامات الباطنية للعهد القديم أو ما يسمى بالقبالانية، وتدفع بتلك الأفكار في وسائطها المختلفة لتتلقفها الأصولية المسيحية وتتبناها وتؤمن بمبادئها وتسعى إلى تنفيذ مقاصدها "ترى أن المسيح لن يأتي إلا إذا مهدوا له بالحرب والعدوان والتضحية بدم الآخر، ولن يكون مسيح إلا إذا كانت أرض الميعاد جاهزة لاستقباله"[2].

جاء ذلك مؤكَّداً في التلمود بالنص القائل: " يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظلّ السلطة في الأرض المقدسة لليهود دون سواهم، وقبل أن يحكم اليهود نهائياً باقي الأمم، يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق، ويهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي، ويحقق النصر القريب، وفي البروتوكولات نجد النص: "ويوم يضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي أهدته له كل أوروبا سيصير البطريرك لكل العالم"[3]، وفي موضع آخر منه نجد النص التالي: "إن قطب العالم في شخص الحاكم العالمي، الخارج من بذرة إسرائيل ليطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه، إن ملكنا يجب أن يكون مثال الجبروت"[4].

وهكذا تعايشت فكرة الخلاص الواردة في التوراة مع متديني اليهود، وراح الحاخامات يفسرون تلك الفكرة لليهود بما يخدم مصالحهم ومصالح الداعمين لفكرة تجمعهم في فلسطين من النصارى الأصوليين والصهاينة، مفادها أن تجمّع اليهود في أرض إسرائيل لا يستدعي انتظار عودة المسيح، باعتبار أن دولة إسرائيل التي يتوجب قيامها ليست كياناً سياسياً فقط، بل أساساً لتحقيق الخلاص[5].

وبهذا اعتقد الصهاينة النصارى والذين يجعلون من تلك المراجع اليهودية مصدراً مهماً لتفسيرات النصوص واستشراف المستقبل وإرهاصات نهاية الزمان "أن المسيح لن يأتي[6]، ولن يُقيم مملكة الرب النصرانية إلا بعد أن يجتمع اليهود في فلسطين، وتكون القدس عاصمة لهم، ويُبنى الهيكل، رمز الدولة اليهودية"[7].

كان لإعادة الاعتبار للغة العبرية وإحيائها بزعم أنها اللسان المقدس واللغة التي أوحى الله بها لشعبه تأثير في انصراف الناس إليها وانكبابهم عليها، حيث كان الإعجاب بها يقترن في أذهان كثير من المجموعات والفرق البروتستانتية بإعجابٍ بالمبادئ والقيم اليهودية، وهذا بدوره عزز قيمة الشخصية اليهودية كونها تمثل الشعب المختار، وبأن السعي في إعادتها إلى الأرض المقدسة يعتبر عملاً موافقاً لمراد الرب وتنفيذاً لمقاصده.

---

(1) انظر: عودة المسيح المنتظر بين النبوءة والسياسة، أحمد علي السقا (35).
(2) أمريكا التلمودية، محمد عيسى داود (13).
(3) بروتوكولات حكماء صهيون، فكتور مارسدن (303).
(4) المصدر السابق
(5) الأصوليون اليهود، د. عيسى فاضل النزال (98).
(6) الصهيونية غير اليهودية، مصدر سابق (29)
(7) الصهيونية النصرانية، أ.د محمد العلي (269).

إن الأدبيات اليهودية التي تسربت إلى العقيدة المسيحية انطلاقاً من عصر الإصلاح يصح أن نطلق عليها تهويداً للمسيحية، وقد قاد ذلك إلى تحول جذري في العلاقة بين اليهود والمسيحيين، وتولدت عن تلك العلاقة اتجاهات نصرانية حملت على عاتقها تمجيد الشعب المختار، والسعي لتحقيق أهدافه التي ربما كان يُعَد تحقيقها في نظر اليهود أنفسهم ضرباً من المستحيلات، ولهذا أحالوا إمكانية تحقيقها إلى تدخل إلهي لكونه ليس في قدرة البشر.

ولقد ظهرت بوادر استجابة النصرانية للأطروحات اليهودية في فكر من يُنسب إليه تأسيس الأصولية أو ما يسمى المذهب البروتستانتي، حتى وُصفت حركته بأنها بعث يهودي، فقد دعا لوثر النصارى إلى إجلال اليهود وتعظيمهم، وكان مما قال: شاءت الروح القدس أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إنهم الأطفال ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات أسيادهم اليهود، وقال أيضاً: إن إعادة اليهود إلى أرض فلسطين هو تحقيق للنبوءات الواردة في الكتاب المقدس تمهيداً لعودة المسيح إلى الأرض، وحكمه لها مدة ألف سنة من القدس أرض ميعاد اليهود[1].

إن المنطلق الذي تحركت منه الأصولية في انسجامها التام مع الفكر الصهيوني في كليات كبرى وعقائد مهمة كالشعب المختار وأرض الميعاد وعودة المسيح والمعركة مع الشر في نهاية الزمان والألفية السعيدة هو اعتبار العهد القديم وما تفرع عنه من شروحات وتعليقات شفوية وكتابية للحاخامات نصوصاً مقدسة.

كما أن العقيدة الألفية تعود جذورها إلى اليهودية وإلى كتابات معلمي المشناة التلموديين بشكل أدق[2]، ولكنها أصبحت فكرة مركزية في المسيحية البروتستانتية، إذ يؤمن كثير من المسيحيين البروتستانت بأنه حينما يعود المسيح المخلص (أو الماشيح حسب الرؤية اليهودية والذي يُشار إليه بالملك الألفي) سيحكم العالم باعتباره الملك المقدس هو والقديسون لمدة ألف عام، يُشار إليها أحياناً باسم: أيام الماشيح[3].

إن المستعرض لجملة من الخطاب الأصولي البروتستانتي على ألسنة شخصيات معتبرة محسوبة عليه تكشف بجلاء تغلغل الأفكار المستمدة من ذلك التراث اليهودي، بما في ذلك أقوال الحاخامات وتفسيراتهم وتعليقاتهم على النصوص المقدسة، حتى عُدّت عند بعض اليهود في مرتبة أعلى أهمية من التوراة نفسها.

كان من مخرجات هذا التناغم بين التراث اليهودي وخصوصاً منه ما تضمنته الرؤى وما حملته شروحات التلمود وتعليقات الحاخامات وبين الفكر الأصولي النصراني أو الطوائف الإنجيلية بروز بعض العقائد المرتبطة بأحداث آخر الزمان، كعقيدة الألفية السعيدة، والحرب الكونية المنتظرة والتي يكثر تداولها باسم حرب هرمجدون ونهاية العالم.

فعيدة الألفية السعيدة التي آمنت بها العقلية الأصولية وباتت تدفع إليها لكونها إرادة الله ومشيئته تتلخص في "عودة المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة الله في الأرض بعد عودته، ولابد أن يُمهَّد لها

([1]) انظر: دور الأصولية في نشأة الصهيونية، مصدر سابق(644).
([2]) انظر: الصهاينة الجدد، مرجع سابق (191).
([3]) انظر: الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية: سعد بن علي بن محمد الشهراني (46).

بعودة اليهود إلى فلسطين، وهذا يعني أن مستقبل الشعب اليهودي أحد الأحداث الهامة التي تبشر بعودة المسيح، وهي كذلك بشرى الألف عام السعيدة "[1].

وأما العقيدة الأخرى التي يؤمن بها الإنجيليون -وهي كسابقتها مأخوذة من التراث اليهودي- فهي الحرب المدمرة التي تسبق عودة المسيح وهي تعني باختصار "أنه لابد من محرقة نووية (هرمجدون) تحضِّر لعودة المسيح، وأنه لابد أن يذوب في هذه المحرقة كل أولئك الذين ينكرون المسيح من الملحدين الشيوعيين، ومن المسيحيين العلمانيين، ومن المسيحيين غير الإنجيليين، ومن المسلمين ومن معظم اليهود"[2].

لقد استطاع شارحو التراث اليهودي من الحاخامات أن يستغلوا شدة ارتباط الإنجيليين بالعهد القديم، فانطلقوا في تفسيراتهم للنصوص وخصوصاً منها ما يتعلق بأفضلية الجنس الإسرائيلي والنبوءات والرؤى التي تتحدث عن آخر الزمان بأنها مسلمات وأمور حتمية لا سبيل إلى الوقوف أمامها أو السعي في تعطيلها أو حرفها عن مسارها، وامتطوا صهوة نصوصه وأخذوها إلى تأويلات بعيدة حيث تكمن مصالح الصهيونية وتجتمع مقاصدها.

ففي التلمود مثلاً نقف على عدد من المواضع من كلام الحاخامات وهم يؤكدون على أهمية الإيمان بفكرة الاصطفاء والاختيار للجنس اليهودي بخلاف غيرهم من أجناس البشر الذين لم يُخلقوا إلا لخدمتهم، وأن الشعب أبناء الله وإسرائيل ابنته، وللعهد الذي أبرمه معهم والوعود التي قطعها على نفسه لهم بخلاصهم وجمعهم بعد شتاتهم وانتصارهم على أعدائهم تحت قيادة المسيح، ثم ما سينعمون به من أمن وأمان دائمين بقدر المحن التي ذاقوها طيلة مسيرتهم[3]، وتم توظيف تلك التفسيرات واعطاؤها القداسة التي تستهوي رجال السياسة والمال وأصحاب السلطة والنفوذ، بالإضافة إلى ضخها كحقائق وثوابت في الوسائل والوسائط المختلفة.

يعلق الدكتور عبدالوهاب المسيري في موسوعته على تأثير التلمود على الفكر الأصولي فيقول: "أثّر التلمود بما احتوى من نظرة حلولية انعزالية في كثير من أجزائه في الفكر الصهيوني، حيث وجد المفكرون الصهاينة ما يدعم اتجاهاتهم"[4].

إن الاعتقاد بمجيء المسيح وبعث اليهود هو أحد الأركان الأساسية في الديانة اليهودية، "وهي عقيدة عنصرية تقوم على أساس انتظار قدوم مسيح يحقق الخلاص للشعب اليهودي، ويقيم مملكة الله على الأرض جاعلا اليهود في أرقى المنازل، وقد وُضعت له في التراث اليهودي شروط ومواصفات شخصية، وعلامات تصاحب مجيئه تختلف باختلاف الفرق والطوائف ومدارس الفكر اليهودية"[5].

وقد وجد ذلك الاعتقاد في سفر دانيال وسفر حزقيال، والاعتقاد المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح والألفية السعيدة يتأسس على رؤيا يوحنا، الكتاب الوارد في نهاية العهد الجديد، وقد كان تراث

---

(1) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، أحمد محمد زايد (193).
(2) النبوءة والسياسة : غريس هالسل (11).
(3) انظر: التلمود وموقفه من الإلهيات، د. أبو بكر محمد ثاني (2/1067-1068)
(4) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري (5/138).
(5) المعتقدات الدينية لدى الغرب، د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن (183-184).

اللاهوت البروتستانتي المتهود هو الذي انبجست عنه المسيحية الصهيونية، وهو التراث الذي رفد الثقافة والسياسة في الغرب خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية[1].

"وهكذا يتضح أن الفكر الديني اليهودي فكر حياتي أسطوري مغرق في رجعيته وعنصريته، وبالرغم من هذا يلجأ الصهاينة إلى كتبهم الدينية لإضفاء الشرعية على ممارساتهم اللاإنسانية والتي وصفها لهم حاخاماتهم، ولا يمكن ومن غير المسموح به الإخلال بها، فبات الكثير من الصهاينة يلجؤون إليها لتبرير الإمبريالية الصهيونية الحديثة، والتوسع المستمر، كونهم الأنقى والأرقى والأفضل الذين خُلق العالم من أجلهم"[2].

وقد ظهر هذا جلياً في حراك أبرز المتحمسين لتلك الأفكار من الأصوليين البروتستانت، وكان من أبرز النماذج التي توضح تأثيرات الفكر اليهودي على المسيحية رجل الدين الأمريكي وليام بلاكستون[3]، إذ يعتبر هذا القسيس من أوائل من مارس الضغوط على صانعي القرار الأمريكي لمصلحة أهداف الصهيونية اليهودية، وكان كثيراً ما يُشيد في كتبه باليهود، ويؤكد على أن عودتهم إلى فلسطين تمثل إشارة لنهاية الزمان، ولجهوده الكبيرة في ترويج الأفكار الصهيونية بالطابع المسيحي المقدس نال الحفاوة من الصهيونية اليهودية ورأت فيه البطل البارز من أجل صهيون[4].

لقد ارتبطت الصهيونية اليهودية بعدد من الحاخاميين، كما ارتبطت بحركة غوش إيمونيم[5]، وجبل الهيكل، وقد انتعشت في عام 1967م بعد احتلال الصهاينة لمدينة القدس، واستغل الإعلام الصهيوني بشقيه اليهودي والنصراني هذا الحدث لتدعيم مصداقية الرؤى والنبوءات الواردة في الإرث اليهودي، ولتأكيد قناعات الأصولية بأحقية اليهود في أرض الميعاد، وتميزهم كعنصر رباني فريد، وبدورهم المركزي في عودة المسيح وحكم الألفية[6]وهكذا اتحد الديني بالسياسي واللاهوتي بالتاريخي، فخلق علاقةً مميزة بين البروتستانتية واليهودية بشكل عام، وبين الأصولية البروتستانتية والصهيونية اليهودية بشكل خاص"[7]، وبات الإرث اليهودي يشكل أحد أهم مقومات الفكر الأصولي النصراني المعاصر، وأضحى مسيطراً على أهم أفكاره وأجنداته في خطاباته وأطروحاته، ومنابره السياسية والاجتماعية.

([1]) انظر: الأصولية الدينية حول العالم، مصدر سابق (121).
([2])الصهاينة الجدد : ناصر محمد الزمل (57).
([3]) بلاكستون: أحد المستوطنين الإنجليز الأوائل في نيو إنجلاند وأول مستوطن أوروبي في بوسطن ورود آيلاند
([4]) انظر: الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية (16-17).
([5]) حركة غوش إيمونيم: حركة إسرائيلية، يهوديّة أرثدوكسيّة يمينيّة متطرّفة، ملتزمة بإنشاء مستوطنات يهودية في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان.
([6]) انظر: الدين في القرار الأمريكي، محمد السماك (16).
([7]) رسالة في الأصولية البروتستانتية، مصدر سابق (8).

النتائج:

1- التفسير الحرفي للعهد القديم يمثل نقطة التحول الكبرى في الفكر الأصولي النصراني، حيث انتقل من موقف عدائي مع اليهود إلى شراكة دينية عقدية تدعم اغتصابهم لفلسطين.
2- دلل البحث على أن أصول النصرانية لمفاهيم "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، كما وردت في العهد القديم، كان عاملاً محورياً في شرعية المشروع اليهودي، وليس الأمر خلافًا في وجهات النظربل تحقيق لوعد إلهي.
3- أثبت البحث أن ترجمة الكتاب المقدس، وخاصة العهد القديم، إلى اللغات الأوروبية، ونشر تفسيراته الحرفية، أسهم في ترسيخ المعتقدات التوراتية في الوعي الجمعي للبروتستانت، وأسهم في تعزيز النفوذ الصهيوني ثقافياً وسياسياً.
4- تبنّت الأصول النصرانية تبنّت فكرة الارتباط بخلاص الإنسان وعودة المسيح الباقية من دولة يهودية في فلسطين، ما يؤيد مشروع الكيان الصهيوني.
5- خلُص البحث إلى أن الأصول النصرانية لعبت دوراً محورياً في إعادة تشكيل الخليج اليهودي، من خلال إعادة قراءة النصوص التوراتية، بما في ذلك خدمة المخيمة، ويعزز مقولة: "اليهود شعب الله المختار"، وضرورة طلبهم إلى فلسطين لتحقيق إرادة الرب.
6- يشكل الفكر اليهودي للكنيست أساساً مهمًا في صياغة العقيدة الأصولية النصرانية، حيث يستهدف بشكل مباشر مفاهيمها وتوجهاتها اللاهوتية السياسية.
7- أدركت الدراسة أن الأدبيات الدينية اليهودية، خاصة التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، لعبت دوراً مهمًا في ترسيخ أسطورة "الشعب المختار" وربطها بحق تملك الأرض المقدسة، مما عزز شرعية المشروع في الوعى الديني والسياسي لدي الأصول النصرانية.
8- وضّحت الدراسة أن التحالف بين الأصول النصرانية والصهيونية ليست مجرد تعاطف عسكري، بل إنه تحالف عقدي عميق يستند إلى رؤية لاهوتية، وتتطلع إلى تحقيق النبوءات المتعلقة بعودة اليهود وإقامة دولة صهيونية مستعدة لعودة المسيح.
9- أكد البحث أن استخدام اللغة العبرية في الوساطة البروتستانية لم يكن مجرد اهتمام أكاديمي، بل جاء في إطار مشروع فكري يهدف إلى تعزيز حضور اليهودية في السلطة القضائية الدينية ثم إنتاج صورة "الشعب المختار" كحقيقة دينية مطلقة.